الصلوات لله

للزعيم الهندى مولانا محمد على

وثمة درة أخرى ، فى قلادة أفضال النبى صل الله عليه وسلم على الانسانية ، ذلك أنه لم يجعل الصلاة لله حجر الزاوية فى بناء التطور الفردى للانسان فحسب ، — بل جعلها دعامة الأخوة الشاملة للانسانية ، التى تبثها عن طريق الإسلام ، فكانت الأوامر الثلاثة التى بلغ أنها نزلت عليه من السماء بالترتيب التالى :

أقرأ واكتب لتبلغ منزلة الشرف ، كما رأيت آنفا ، فقد كان الأمر بالقراءة والكتابة باكورة الوحى الأول الذى أوحى به إليه .

ثم كان ثانى وحى إليه أمرا بتحذير القوم وتكبير الله :

« يأيها المدثر ! ... قم فأنذر ! ... وربك فكبر ! ... »

والأمر الثالث ، هو ثالث ماأوحى به إليه بالترتيب التاريخى ، كان أمراً بالصلاة لله لا فى وقت النهار فقط بل آناء الليل كذلك :

« يأيها المزمل ! ... قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا . أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا . »

ويتلو ذلك فى نفس السورة ، كما بلغ ، كيف أن النبى وصحابته نفذوا الأمر :

« إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه ، وثلثه ، وطائفة من الذين معك ... »

وفى سورة أخرى سابقة يذكر أن أداء الصلاة قد تقرر بالنهار وفى الليل معا على السواء :

« أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتجهد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . »

وكذلك تقرر أن الصلاة لله نهارا وليلا إنما هى الوسيلة كذلك لتسنم الإنسان مرتبة عظيمة من المجد ، ثم تقرر بعد ذلك أن الصلاة يتحتم أداؤها فى أوقات متتالية :

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . »

وبهذا التوجيه جعل النبى صلى الله عليه وسلم الصلاه نظاما يباشره هو وأتباعه فى أوقات معينة ، ولم يترك للفرد فرصة لتخير وقت بين آونة وأخرى للصلاة حين يستشعر خلوه من الشواغل ، فاحتلت مكانتها بين ثنايا عمله اليومى . صلاة الصبح وقتما ينهض من الفراش ، وصلاة الظهر حالما يكون متهيئا لتناول وجبة الغداء ، كدليل على أن الجسم إذا كان يتطلب غداء ، فإن الروح كذلك يتطلب مثله ، وصلاة العصر عند ما يرجع من عمله اليومى ، وصلاة المغرب بعد غروب الشمس ، وصلاة العشاء ريثما يهم بالإيواء إلى فراشه ، لتكون خاتمة مطافه اليومى كله .

كان الغرض المنشود من ذلك هو أن يحس الإنسان بقلبه إحساسا عميقا بوجود الله ، وذلك هو الموهبة التى اختصت بها الطبيعة الإنسان ، حتى يتذكر على الدوام أن عليه واجبا لبارئه ، واجبا يدعوه من غمرة مشاغله الدنيوية ليقف بين يدى الحضرة الإلهية ، وينبهه وهو فى حمأة الجلبة والضوضاء كلها ، التى ربما تغشى عقله فتحول بينه وبين الله ، الشعور من الإنسان بأن هناك حضرة علية ، هو فى الحق مسئول أمامها عمل يعمل ، — هو الذى يذكره ساعة النصر ونشوته بأنه لا شىء أكثر من مخلوق ضعيف حقير ذليل لله ، كما يذكره ساعة الفشل وخيبة الأمل بأنه ما زال له سند يستند إليه ، وبأنه ليس هناك شىء مطلقا يوجب اليأس والقنوط .

وترجع الأهمية التى علقت على الصلاة إلى أنها الطريق العملى لتغليب العنصر الإلهى فى الإنسان . ولم يقنع النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد التبشير بوجود الله نظرياً ، فتعمد أن ينقش على قلب الإنسانية الاعتقاد الراسخ فى أن الله موجود ، وأن يجعل هذا الاعتقاد قوة واقعة فعالة فى حياتها .

والأمور الثلاثة المطلوبة من المسلم قد بينت فى بداية تنزيل القرآن الكريم بترتيبها الطبيعى :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

الاعتقاد فى الله ، ذلك المغيب العظيم ، يؤدى مباشرة إلى المحافظة على تأدية الصلاة ، وذلك تدليل على أن الصلاة هى السبيل الذى يتبدل به الاعتقاد إلى إدراك

واقعى للقبس الإلهى فى الإنسان ، ثم إلى لمس بصرى لوجود الله ، ويتبع ذلك بالتالى الانفاق مما وهبه الله للانسان فى سبيل نفع الآخرين . وهكذا يكون الإيمان بالله قد انتقل من دائرة التصور إلى دائرة العمل بالصلاة ، التى تقود بدورها إلى خدمة الانسانية . والتطور الذاتى للانسان — فيما يرى النبى صلى الله عليه وسلم — مكفول بالصلاة ، منوط بأدائها :

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

واللفظ العربى — نجاح — هو فلاح ، بمعنى الوصول التام لبلوغ كل ما يشتهيه الانسان . والفلاح ، « أو النجاح » ، والصلاة — عند النبى صلى الله عليه وسلم — توءمان متصل أحدهما بالآخر اتصالا وثيق العرا ، حتى ليعدان غالبا لفظين مترادفين ألم يأمر بأن ينطلق الأذان خمس مرات من فوق المآذن كل يوم :

« حى على الصـــلاة ، حى على الصـــلاة . »

« حى على الفـــلاح ، حى على الفـــلاح . »

ثم إن الصلاة لله تطهر قلب الإنسان ، وتكبت غايات نفسه الأثيمة :

... اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . »

« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل . إن الحسنات يذهبن السيئات . »

وأوضح النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما أورده القرآن ، فخاطب أصحابه فى مناسبه خاصة قال :

« مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم ، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ » قالوا : لا شىء ، قال : « فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن . »

كانت الصلاة عند النبى صلى الله عليه وسلم تطلعاً من النفس الانسانية إلى الاتصال بالروح القدسية ، غاية الطهر ، وجماع الأسماء الحسنى :

« له الأسماء الحسنى . »

« كونوا ربانيين »

والطريق الوحيد لانجاز ذلك ، هو الفوز بالاتصال مع الروح الالهى والتجرد

الكامل من كل نقائص البيئة البشرية إلى أجل ، والاغتراف من نبع الطهر والكمال المقدس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إذا قام أحدكم للصلاة فإنه يكون مناجيا لربه » .

وينبغي في الصلاة أن يكون الشعور بالحضرة الإلهية محسا كأنها حقيقة ماثلة :

« اعبد الله كما لو كنت تراه ، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك » .

تظهر هذه المزايا الخاصة بالصلاة طبيعتها الحقة ، من حيث هي مثول واقعي في حضرة الذات الإلهية ، فمن كان يصلي لله بجد حقيق ، فهو إنما يصلي وهو على يقين أنه قادر على لقاء الله في هذه الحياة ذاتها !...

وفوق كل ذلك تدل الصلاة على طلب المعونة والهداية من الله . وطلب المعونة والهداية مرتبط بصلوات المسلم اليومية ، التي تتكرر قرابة أربعين مرة في اليوم الواحد :

« إياك نعبد ، وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » .

وهكذا يكون المسلم مطالباً بأن يتوجه إلى الله بين الفينة والفينة سائلا ربه العون والرشاد في كل ما يعمل .

وفي أحد المواضع يشار إلى الصلاة على أنها زاد تقتات به روح الإنسان ، إلى أن الرجل الذي لا يؤدي الصلاة يعتبر روحيا في عداد الأموات :

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى . ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا . نحن نرزقك والعاقبة للتقوى . »

« ما متعنا به أزواجا منهم » من أمور تتصل بالحياة المادية وتحتاج إليها الأجسام فإذا ووزنت هذه الأمور بالصلاة ، فالصلاة « خير وأبقى » ، « رزق ربك » الذي تفتقر إليه روح الإنسان ، وعلى ذلك تكون الصلاه ضرورية بين آن وآخر نهاراً وليلا لتقتات بها الروح الآدمية ، كما أن الطعام ضروري بين وقت وآخر لتغذية الجسد .